جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

الدراسات الأولية الصباحية والمسائية

المرحلة الثانية

صباحي شعبة ج ، والمسائي

محاضرات في :

علم التفسير

د. نور سعد حمود

للعام الدراسي ٢٠٢٣ / ٢٠٢٤م

١٤٤٥هـ ٢٠٢٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا وحبيبنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ...

أما بعد ...

فأن علم التفسير ملجأ لكل طالب يروم معرفة مقصد الله تعالى من آياته ، وقد عُنِيَ المسلمون منذ فجر الإسلام، وانبثاق نور الهداية الإلهية على ربوع العالم، بالقرآن الكريم مصدر تلك الهداية، ومنبع ذلك الإشراق، عنايةً كبرى شمِلت جميع نواحيه، وأحاطت بكلّ ما يتصل به، وكان لها آثارها المباركة الطيبة في حياة الإنسان عامّة، والمسلمين خاصّة، وأفاد منها العلم، وأفاد منها العقل، وأفاد منها الدين، وأفاد منها الفنّ، وأفاد منها القانون والتشريع، وأفادت منها الفلسفة والأخلاق، وأفادت منها السياسة والحكم، وأفاد منها الاقتصاد والمال، وأفاد منها كلُّ مظهرٍ من مظاهرِ النشاط الفكري والعملي عرفه الناس في حياتهم.

ولقد زخرت المكتبة الإسلامية من آثار هذا النشاط العظيم، بل زخرت مكتبات أخرى في لغات أخرى وأمم أخرى، بكنوزٍ رائعةٍ يقف العقل أمامها حائرًا مشدوهًا، أمام هذه العظمة التي لا كفاء لها إلا الإقرار بالعجز والخضوع!

ولكي ندرك مدى هذه العناية الكبرى التي تلقَّى بها المسلمون القرآنَ الكريمَ في جميع عصورهم ومراحل حياتهم، وعلى أيدي علمائهم وملوكهم ووزرائهم وأمرائهم وأغنيائهم وأرباب الفنّ فيهم، وأهل الإحسان في كلّ ناحية من نواحي الإحسان؛ لكي ندرس مدى هذه العناية الكبرى، علينا أن نلتفت إلى ما سجله التاريخ الفكري للمسلمين.

لا نكاد نعرف علمًا من العلوم التي اشتغل بها المسلمون في تاريخهم الطويل إلا كان الباعث عليه هو خدمة القرآن الكريم من ناحية ذلك العلم، فالنحوُ الذي يقوِّم اللسان ويعصمه من الخطأ، أُريد به خدمة النطق الصحيح للقرآن، وعلومُ البلاغة التي تبرز خصائص اللغة العربية وجمالها، أُريد بها بيان نواحي الإعجاز في القرآن، والكشف عن أسراره الأدبية، وتتبعُ مفردات اللغة، والتماس شواردها وشواهدها وضبط ألفاظها، وتحديد معانيها، أُريد بها صيانة ألفاظ القرآن ومعانيه أن تعدو عليها عواملُ التحريف أو الغموض، والتجويدُ والقراءاتُ لضبط أداء القرآن وحفظ لهجاته، والتفسيرُ

لبيان معانيه والكشف عن مراميه، والفقهُ لاستنباط أحكامه، والأصولُ لبيان قواعد تشريعه العام وطريقة الاستنباط منه، وعلمُ الكلام لبيان ما جاء به من العقائد، وأسلوبه في الاستدلال عليها.

وسندرس في عامنا هذا مدخل إلى علم التفسير ومعرفة ما يحمله هذا العلم من طرق توضح المراد من آيات الله تعالى في القرآن الكريم .

المحاضرة الأولى :

معنى التفسير والتأويل والفرق بينهما ، و نشأة علم التفسير وتطوره

* التفسير في اللغة:

تفعيل من الفَسر بمعنى الإبانة والكشف وإظهار المعنى المعقول، يقال: فسر الشيء يفسره بالكسر ويفسره بالضم فسرًا، وفسره: أبانه، والتفسير والفسر: الإبانة وكشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل. وفي القرآن: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: ٣٣]، أي : بيانًا وتفصيلًا.

*التفسير في الاصطلاح:

- عرَّفه الزركشي بأنه: (علم يُفهم به كتاب الله المُنَزَّل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه).
- وعرَّفه بعضهم بأنه: (علم يُبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد، من حيث دلالته على مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية).
- عرَّفه أبو حيان في البحر المحيط بأنه: (علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك) ، وهذا التعريف هو اشمل التعاريف واوسعها كونه اشتمل على جميع العلوم التي يحتاج اليها المفسر.
- وهذه التعاريف الأربعة تتفق كلها على أن علم التفسير: علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البَشرية، فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى، وبيان المراد.

*التأويل في اللغة:

التأويل: مأخوذ من الأول وهو الرجوع، قال في القاموس: "آل إليه أولاً ومآلا: رجع، وعنه: ارتد ... ثم قال: وأوَّل الكلام تأويلاً وتأوَّله: دبَّره وقدَّره وفسَّره، وأُلت عن الشئ: ارتددت.

*التأويل في الاصطلاح:

تفسير الكلام وبيان معناه، سواء أوافق ظاهره أو خالفه، فيكون التأويل والتفسير على هذا مترادفين، وهذا عند المتقدمين.

هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به. وهذا التعريف عند العلماء المتأخرين .

*الفرق بين التفسير والتأويل :

اختلف في التفسير أو التأويل:

- فقال أبو عبيد وطائفة: هما بمعنى واحد فهما مترادفان وهذا هو الشائع عند المتقدمين من علماء التفسير.
- قال الراغب الأصفهانى: التفسير أعم من التأويل، وأكثر ما يُستعمل التفسير في الألفاظ، والتأويل في المعاني، كتأويل الرؤيا.

  والتأويل يُستعمل أكثره في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها.

  والتفسير أكثره يستعمل في مفردات الألفاظ، والتأويل أكثره يستعمل في الجمل.
- قال الماتريدي: التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عنى باللفظ هذا، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأي، وهو المنهي عنه، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله، وقيل ان التفسير يتعلق بالرواية، والتأويل يتعلق بالدراية.
- التفسير هو بيان المعانى التى تُستفاد من وضع العبارة، والتأويل هو بيان المعانى التى تُستفاد بطريق الإشارة وهذا هو المشهور عند المتاخرين.

*نشأة علم التفسير وتطوره:

جرت سنة الله تعالى في إرسال الرسل وإنزال الكتب أن يبعث لكل امة نبياً بلسان قومه ، وأن يكون كتابه بلسانهم، قال تعالى﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ [إبراهيم: ٤] وأنزل الله القرآن الكريم بلسان عربي مبين على نبينا محمدﷺ في جزيرة العرب ، قال تعالى﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢].

وكان القوم عربياً خلصاً يفهمون القرآن الكريم بمقتضى السليقة العربية واللسان العربي ، غير أن القرآن يعلو على سائر كلام العرب بألفاظه وأساليبه اللغوية والبلاغية فضلاً عن معانيه ، ولذا فقد كانوا يتفاوتون في فهمه وإدراكه وإن كان كل منهم يدرك ما يوقفه على إعجازه فكان بعضهم يفسر ما غمض على الآخر من معنى ، فإن أشكل عليهم لفظ أو اغمض عليهم مرمى ، ولم يجدوا منْ يفسره لهم سألوا الرسولﷺ فيوضح لهم ما غمض عليهم فهمه وإدراكه ، لأنه ﷺ أعلم الناس بمعاني كتاب الله وإدراك أسراره ومعرفة مقاصده بل هو الذي وجه اليه الله كلامه حيث قال ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾ [النحل: ٤٤].

عن ابن مسعود ﷺ قال لما نزلت ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على أصاحب رسول اللهﷺ وقالوا أينا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول اللهﷺ : ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ [لقمان: ١٣] .

ولم يكن تفسير القرآن الكريم يدون في عهد الرسولﷺ كعلم مستقل بذاته ، وإنما كان يروى منه عن النبي ﷺ ما كان يتعرض لتفسيره كما يروى عنه الحديث، وقام علماء الصحابة والتابعين يبينون للناس معاني القرآن ، ويفسرونه لهم.

واستمر الصحابة يتناقلون معاني القرآن وتفسير بعض آياته على تفاوت فيما بينهم ، لتفاوت قدرتهم على الفهم، وتفاوت ملازمتهم لرسول الله ﷺ .

وقد اشتهر كثير من الصحابة بتفسير القرآن ، منهم الخلفاء الأربعة ، وابن عباس وابن الزبير، وأُبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وعبدالله بن مسعود و وأبو موسى الأشعري ، وعائشة ﷺ.

وحين اتسعت الفتوحات الإسلامية انتشر الصحابة ﷺ في البلدان المفتوحة يعلمون أهلها القرآن ويفسرون لهم معانيه ، وينشرون لهم علومه ومعارفه ومضى عصر الصاحبة رضوان الله عليهم ، ثم جاء عهد التابعين الذين أخذوا علم الكتاب والسنة عنهم وكل طبقة من هؤلاء التابعين تلقت العلم على يد من كان عندها من الصحابة ﷺ فجمعوا منهم ما روي عن الرسول ﷺ من الحديث ، وما تلقوه عنهم من تفسير للآيات وما يتعلق بها فكان علماء كل بلد يقومون بجمع ما عُرف لأئمة بلدهم.